مَلامحُ السَّرْدِ في رَسائِلِ الإمَامِ علي عليه السلام

م.م. وسام حاتم زويد

م.م. فارس نايف فايز

المقدمة :

لاشك في أن نهج البلاغة قد حظي بدراسات جمة على طول التاريخ ،وتناولته شتى الأشكال المعرفية، إذ درسه المؤرخون والفقهاء، والفلاسفة، والمتكلمون، والمتصوفة، والسياسيون، والاجتماعيون، والأدباء، وغيرهم، فهو أثر يتخذ أهميته من دواع عدة لعل أبرزها: حراجة المرحلة التي قيلت فيها نصوصه المختلفة ،ومكانة قائله عند المسلمين جميعا ،وما تميز به من تفرد في النسج والصياغة جعله يصطف مع النصوص المتعالية في الأدب العربي .

من هنا لا تأتي هذه الدراسة بدعا من القول، أو إضافة غير مسبوقة، وإنما هي محاولة للتجوال في صنف خاص من كلام النهج هو رسائل الإمام عليه السلام لاستكشاف جانب لم يحظ بالالتفات مثلما حظيت به الجوانب،البلاغية ،واللغوية ،والصوتية ،والأسلوبية ،إذ ركز البحث على الملامح القصصية في الرسائل ،فانطلق نحوها بثلاثة مباحث كشف في كل واحد منها عن مجموعة من العناصر التي تؤيد ما سعينا إلى استقرائه من وجود روح قصصي مبثوث في أكثر هذه الرسائل ، ومن ثمَّ الاعتقاد بوجود هذا الروح القصصي اللطيف في جميع النهج، والله من وراء القصد وبه نستعين .

المبحث الاول

أركان السرد

تتضافر في السرد مجموعة من العناصر تتماهى في الاتصال ببؤرة تكاد فيها أن تكون عنصرا واحدا من جهة ، وتبيح فصل بعضها عن بعضها الآخر ؛ لتكون أركاناً متقابلة متحاثية من جهة أخرى ، مما أسهم في صوغها بنائيا في منظومة سردية متماسكة ، وأوجب بوح بعضها نيابة عن بعضها الأخر ، أو صيرورة عنصر منها سببا في وجود عنصر آخر ، وأول هذه العناصر أو أول من يشكل ركنا فيها هو الراوي.

۞ الراوي :

يعد الراوي الناطق بالسرد ، أو((الشخص الذي يروي الحكاية ، أو يخبر عنها سواء أكانت حقيقية أم متخيلة))[١]، فالقصة لا تظهر للآخرين إلا بوسيلة ، وتحتاج إلى أداة فنية تتمثل بالراوي[٢] عليه يتوقف شكلها ، وطابعها العام ، ومعه تقوم المسافة الفنية اللازمة لاستغلاله من جهة ، واستقلالية العناصر الأخرى في القصة من جهة أخرى ، والكاتب يستعين به لغرض الكشف عن متنه المروي، وقد حظي مفهوم الراوي باهتمام السرديين شأنه في ذلك شأن بقية المصطلحات السردية لكونه الشخص الذي يتوسط بين الأحداث ومتلقيها ، فيقود عملية السرد[٣]، ونظرا لورود مصطلح الراوي في الثقافة العربية ،ولما يمتلكه من جذور في التراث الأدبي ، والتاريخي ، والديني ، إذ أطلق على رواة الأشعار في الموروث الأدبي ، وعلى الإخباريين في الموروث التاريخي ، وعلى رواة الأحاديث النبوية الشريفة في الموروث الديني ، لذا يفضل الكثير من الباحثين العرب التعامل به ، مع وجود من يرى أنه من الأفضل استعمال مصطلح السارد ؛ لكونه لا يشترك مع مصطلحات أخرى بمعان معنية منهجيا[٤]،ولوجود فارق كبير بين الراوي المستعمل تراثيا ، والراوي المستعمل بوصفه مصطلحا سرديا، إذ الأول كائن حقيقي من لحم ودم ، والثاني متخيل لا وجود له خارج النص وإن كان هذا لا يتفق مع المتن المدروس ، لأن الراوي فيه شخصية حقيقية لها وجودها الخارجي ، وبعدها التاريخي والعقائدي ، وكيانها المستقل الذي يقدم المروي بنزاهة تامة ، ومصداقية متناهية ، حتى لو عرضه عرضا أدبيا وساقه سوقا عاطفيا ليبين المعاني ، ويؤيد

الأغراض، ويؤثر بها التأثير الذي يجعل وقعها على الأنفس وقعا مشوقا وجاذبا ، ليستثير العاطفة والوجدان[٥] وهذه الخصوصية في النص لا تقف حائلا بيننا وبين دراسة الكيفيات التي يتجلى بها الراوي لأن الدراسة ستكون فنية تتبع الأشكال التقنية، ولا تلاحق المضامين التي تقع في جوانب تخرج عن اختصاصها ، ويمكن أن نتعاطى مع واقعية الراوي بتشبيه رسائل الإمام علي عليه السلام بالنص القرآني ، ونصوص السيرة الذاتية ، إذ درس فيها هذا المفهوم ، وبما تقتضيه الأدوات التي تمسه في المنهج السردي ، وبحسب خضوع كل منها لذلك ، والراوي هنا يكون راويا عليما لأن السرد يكون سردا موضوعيا ، فهو مهيمن فيه ، يعلق على أحداثه ، ويصف الشخصيات ، ويعرض أفكارها[٦] ، ولا تفارقه هذه الصفة حتى لو كان الضمير الذي يروي به هو ضمير المتكلم ، فلهذا الضمير ((المقدرة المدهشة على إذابة الفروق الزمنية السردية بين السرد والشخصية والزمن جميعا ، ، اذ كثيرا ما يستحيل السارد نفسه في هذه الحالة إلى شخصية [غالبا] ما تكون مركزية))[٧] ، وهذا الراوي يندر أن يخفي نيته ، لكون بنية القص لديه بنية بسيطة بخلاف النصوص التي صممت تصميما قصصيا ، اذ يتبنى فيها الراوي نيات الآخرين ، ولذا نراه يلجأ الى الصيغة التي يكون فيها شخصية مشاركة في الحدث ، فيزْورُّ من نيّة الشخصية ، وينفذ إلى مهمة الراوي[٨] ، أو غالبا ما يظهر كشخصية بمواجهة المتلقي مباشرة ، وقد أعربت عن صوتها الدفين والخارجي في حديثها مع الآخرين ، وكثيرا ما يعبر عن ذلك بصيغة المتكلم من دون اللجوء الى وصاية الراوي العليم ، فترفع الحجب عن نفسها ، وتمرر أفكارها التي تخص علاقتها بالآخرين ، وفي أكثر ذلك يكون المنشئ هو الشخصية المركزية[٩] ونحن إذا استعنا بالتوصيفات النقدية ، والمصطلحات الإجرائية التي تعامل بها السرديون مع مفهوم الراوي سنجد أشكالا عدة يمكن أن نقف عند أهمها وبما تسعفنا به المتون التي ندرسها فنرصد الآتي :

أولا : الراوي الممسرح :

تركن عملية التقسيم لأنواع الرواة على ((موقعه في القصة داخل او خارج))[١٠] ، وهذا الراوي يكون داخل الحكاية ، فهو ((راو حاضر

كشخصية في الحكاية التي يرويها باستعمال ضمير المتكلم))[١١] ، فالراوي حالما يشير إلى نفسه بكلمة (أنا)فإنه يكون تمسرح بمعنى ما[١٢]

وبحسب رأي الناقد فاضل ثامر فإن الراوي الممسرح قد لا يقتصر على استعمال ضمير المتكلم ، وإنما يستعمل ضمير المخاطب ، أو الغائب أحيانا[١٣] ، وهي إشارة تشبه إلى حد كبير توصيف "جيرار جنيت" حين يسمي بعض الرواة الممسرحين بأنه غيري القصة / داخل القصة[١٤]، والراوي الممسرح على أنواع منها :

١) المشاهد المروية:

وهذا الراوي ((بمثابة العين التي تكتفي بنقل المرئي في حدود ما يسمح لها النظر وبمثابة الأذن التي تكتفي بنقل المسموع في حدود ما يسمح به السمع، فوظيفة هذا الراوي هي التسجيل))[١٥]،ويكون حضوره غير فاعل في الأحداث، وقد يروي أحداثا تهمه ويكون شاهدا عليها.

فالإمام علي عليه السلام حين يوصي الحسن عليه السلام نجده في جزء من وصيته يروي له عن أهل الدنيا ﴿ فَإِنَّما أهلُها كلابٌ عاويةٌ ، وسِبَاعٌ ضارية ، يَهِرُّ بعضُها بعضاً ، ويأكلُ عزيزها ذليلها ، ويقهر كبيرها صغيرها ، نَعَمٌ مُعَقَّلَةٌ ، وأخرى مهملةٌ ، قد أضلت عُقُولها وركبتْ مجْهُولها ، سروح عاهةً ، بواد وعثٍ ليس لها راع يقيمها ، ولا مُسِيمٌ يُسِيمُها ، سلكت بهم الدنيا طريق العمى ، وأخذت بأبصارهم عن منار الهدى ، فتاهوا في حيرتها ، وغرقوا في نعمتها ، واتخذوها ربّاً ، فلعبت بهم ولعبوا بها ، ونسوا ما وراءها ﴾[١٦] إنه راو ينقل أحداثا عن فئة من الناس شهد أحوالهم واطلع عليها عيانا وسماعا ، فكان بمثابة الكاميرا التي تنقل مشاهد مصورة ' ولا يتجاوز الراوي هنا مهمة تصوير المحكي عنه ، فهو لا يتاح له الأثر الفاعل في التغيير ، لذا يكتفي بتحذير السامع من الانجرار لمثل ما روى عنه ، فيتجنب السقوط في متاهاته . وحين يكتب إلى معاوية واصفا فعل قريش مع النبي وأهل بيته ، ومذكرا إياه بما كان عليه الطرف الذي ينتسب إليه في تلك الفترة من مناصبة العداء للرسول ، ومحاربة

أهل الدين يقول : ﴿فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا وَاجْتِيَاحَ أَصْلِنَا وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ وَفَعَلُوا بِنَا الْأَفَاعِيلَ وَمَنَعُونَا الْعَذْبَ وَأَحْلَسُونَا الْخَوْفَ وَاضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَعْرٍ وَأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ فَعَزَمَ اللَّهُ لَنَا عَلَى الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ وَالرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ مُؤْمِنُنَا يَبْغِي بِذَلِكَ الْأَجْرَ وَكَافِرُنَا يُحَامِي عَنِ الْأَصْلِ وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خِلْوٌ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِحِلْفٍ يَمْنَعُهُ أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانِ أَمْنٍ﴾ (١٧) .

إنه راو شهد الأحداث، وسجل تفاصيلها، وكان من بين المنفعلين بها، لا ينتمي لأحد طرفيها، لكنه اكتفى بالشهادة عليها، ولم يتجاوزها إلى ذكر لقطات يكون هو الممسك بزمامها، أو المحرك لخيوط مجرياتها.

٢) الراوي المتماهي في مرويه:

أ- الراوي شخصية مركزية في مرويه:

وهو بطل يروي قصته ، وعليه تدور الأحداث وإليه تجتمع بداياتها ونهاياتها ، بمعنى انه الراوي الذي يقترب من بطل الحكاية السيرية ، وهذا النمط من الرواة يتخذ منطقة وسطا بين الروائي والمؤرخ(١٨) لأن كاتب السرد السيري ليست مهمته نقل التاريخ ، فهو ليس مؤرخا ، كما أنه ليس روائيا في الوقت ذاته ، وقد شبه جيرار جنيت الحكاية التي يكون فيها البطل هو نفسه السارد ، وهو نفسه المنشئ بالحكاية السيرية (١٩) ،ويكثر في النهج هذا النوع من الرواة ، لكون الإمام "عليه السلام" هو الشخصية المركزية في معظم الأحداث التي تسجلها رسائله ، ومن النماذج التي يتجسد فيها هذا الشكل قوله : ﴿وقَدْ دَعوتَ إلى الحَرْبِ فَدَعِ الناسَ جانباً . . . فأنا أبو حسنٍ قَاتِلُ جَدَّكَ ، وَخَالِكَ ، وأخيكَ شَدْخاً يوم بدرٍ ، وَذلِكَ السيفُ مَعِي وبذلِكَ القَلبِ أَلقى عَدُوِّي ، ما استبدلْتُ دِيناً ، ولا استحدثْتُ نبياً﴾ (٢٠) .

فالراوي هو ذلك البطل نفسه الذي قتل أعداء الدين، يعرف من قتلهم بأوصافهم وقرابتهم إلى من يقص عليه الحكاية، واللوحة التي رسمها كان فنانها في الواقع (الحدث)، كما هو فنانها، ومبدعها في الألفاظ والتراكيب.

وحين يقول لمعاوية في رسالة أخرى :﴿وأذكرك ما لستَ ناسيا يوم قتلتُ أخاك حنظلة ، وجررتُ برجله إلى القليب ، وأسرتُ أخاك عَمراً ، فجعلت

عنقه بين ساقَيْه مرباطاً ، وطلبتك ففرَرْتَ ولك حُصَاص ، فلولا أني لا أتْبع فارّاً لجعلتُك ثالثهما ﴾ (٢١) .

يتصف الراوي هنا بالبطولة للحكاية ، لذا نجده يمرُّ بنا على أدق وحداتها ويطلعنا على بلائه فيها ، وشجاعته التي مكنته من الفتك بأعدائه ، وما حلَّ بالناجي منهم من الخوف ، فيصف فرارهم المخزي(لك حصاص) ، ثم عرض لنا جانبا من أخلاقياته الحربية التي التزم بها مبدأ وسجية ، فلم يلحق بالفارين عملا بها .

ب-الراوي المشارك في مرويه:

هو الراوي الذي ((سينفعل ويفعل في مجريات الأحداث كشخصية من الشخصيات))(٢٢) ويروي حدثا يشكل أحد عناصره، أو كان أحد أطرافه الفاعلة، فهو شخصية مشاركة ومؤثرة تأثيرا ملموسا في تسيير الأحداث(٢٣).

ونظرة فاحصة في رسائل الإمام عليه السلام تنبئنا بيسر عن مثل هذا الراوي فيها ، اذ أن معظم الرسائل تخبر عن ما يضطلع فيه كاتبها / راويها من مسؤوليات تجعل منه حاضرا في كل ما يجري من حوله ، ومن ذلك رسالته إلى أهل الكوفة حينما سار من المدينة إلى البصرة ،إذ يقول :﴿ فإني أُخْبِرُكُمْ عن أمرِ عُثمان حتى يكون سَمْعُهُ كَعِيانِه ، إنَّ الناسَ طَعَنُوا عليه ، فكُنتُ رجُلاً من المهاجرين أُكْثِرُ استِعْتابَهُ وأُقِلُّ عِتابَهُ ، وكانَ طَلحَةُ والزُّبيرُ أَهْوَنَ سَيرِهِما فيه الوَجِيفُ ، وأَرْفَقُ حِدائِهِما العَنِيفُ ، وكانَ مَنْ عَائِشَةَ فيه فَلْتَةُ غَضَبٍ ، فأُتِيحَ له قومٌ فَقَتَلُوهُ ، وبايعني الناسُ غيرَ مُسْتَكرِهِينَ ، ولا مُجبرِينَ ، بل طائِعِينَ مُخَيرِينَ ﴾ (٢٤) .

من ذلك رسالته إلى أهل الكوفة حينما سار من المدينة إلى البصرة ،إذ يقول :﴿ فإني أُخْبِرُكُمْ عن أمرِ عُثمان حتى يكون سَمْعُهُ كَعِيانِه ، إنَّ الناسَ طَعَنُوا عليه ، فكُنتُ رجُلاً من المهاجرين أُكْثِرُ استِعْتابَهُ وأُقِلُّ عِتابَهُ ، وكانَ طَلحَةُ والزُّبيرُ أَهْوَنَ سَيرِهِما فيه الوَجِيفُ ، وأَرْفَقُ حِدائِهِما العَنِيفُ ، وكانَ مَنْ عَائِشَةَ فيه فَلْتَةُ غَضَبٍ ، فأُتِيحَ له قومٌ فَقَتَلُوهُ ، وبايعني الناسُ غيرَ مُسْتَكرِهِينَ ، ولا مُجبرِينَ ، بل طائِعِينَ مُخَيرِينَ ﴾ (٢٤) .

الراوي هنا طرف مشارك في الأحداث ، وجزء منها ، وبه عقدت الكثير من حلقاتها فهو تارة ناصح ، وتارة مصلح ، ثم تؤول الأمور إليه ، وتعصب في رأسه وتقصده الجموع فزعة وهي مختارة غير جبرة .

ومن ذلك أيضاً كتابه لأهل الأمصار الذي يقص فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين، حيث يروي لهم قائلا:

﴿ فَقُلْنَا تَعَالَوْا نُدَاوِ مَا لَا يُدْرَكُ الْيَوْمَ بِإِطْفَاءِ النَّائِرَةِ وَتَسْكِينِ الْعَامَّةِ حَتَّى يَشْتَدَّ الْأَمْرُ وَيَسْتَجْمِعَ فَنَقْوَى عَلَى وَضْعِ الْحَقِّ مَوَاضِعَهُ

فَقَالُوا بَلْ نُدَاوِيهِ بِالْمُكَابَرَةِ فَأَبَوْا حَتَّى جَنَحَتِ الْحَرْبُ وَمَرَكَدَتْ وَوَقَدَتْ نِيرَانُهَا وَحَمِشَتْ فَلَمَّا ضَرَّسَتْنَا وَإِيَّاهُمْ وَوَضَعَتْ مَخَالِبَهَا فِينَا وَفِيهِمْ أَجَابُوا عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الَّذِي دَعَوْنَاهُمْ إِلَيْهِ فَأَجَبْنَاهُمْ إِلَى مَا دَعَوْا . . . ﴾[٢٥]

يظهر الراوي ذاته في المجموع، ويظهر من خلاله، لكونه عنصرا مشاركا وفاعلا، وقطبا مؤثرا في جهة من طرفي النزاع الذي يروي تفاصيله إلى الآخرين.

ثانيا : الراوي غير الممسرح :

هو الراوي الذي يسوق خبرا لم يكن حاضرا فيه بأي شكل من الأشكال ، ولا يشير إلى نفسه كجزء من الحكاية ، وهو راو موضوعي ، وغائب لا يظهر إلا متماهيا بالمؤلف الضمني ، بحيث لا يمكن التفريق بينهما[٢٦] ، ودائماً ما يكون هذا الراوي في النصوص القصصية مهيمنا في معرفته على بواطن الشخصيات ، فينقل ما يدور في ذهنها، ويتمتع بعلمية واسعة تعطيه الحرية الكافية في تحريك عوالم السرد ، ليجعل أمام المتلقي صورا حية متحركة ، ويقل هذا النمط من الرواة في رسائل الإمام عليه السلام ولا يأخذ ما يأخذه صنوه في الحكاية الأدبية من التوسع في الخيال والأوهام عن دواخل الشخصيات ، واختراق الحجب الفاصلة بينه وبينها ، إنما هو راو يميل إلى الاقتصاد في ذلك لخصوصية رسائل الامام التي تتصف بالصدق الواقعي والفني ، ولاكتفاء الراوي فيها بنقل ما هو خارج عنه ، ووصفه في حدود الكيفية التي ظهرت له ومنه ما جاء عن الامام في أولى رسائله لعثمان بن حنيف فيقول:

﴿ فقد بلغَنِيَ أن رجُلاً من فتيةِ أهل البصرةِ دَعاكَ إلى مأدُبةٍ فأسرعتَ إليها تُستَطَابُ لكَ الألوانُ ، وتُنقَلُ إليكَ الجِفَانُ ، وما ظننتُ أنَّك تُجيبُ إلى طَعَامِ قَوْمٍ ، عائِلُهُمْ مَجفُو وغَنِيهُم مدعُوّا ﴾، ومنه قوله "عليه السلام" حاكياً عن النار في عهده لمحمد بن ابي بكر رضي الله عنه :

﴿ فَاحْذَرُوا نَاراً قَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَحَرُّهَا شَدِيدٌ، وَعَذَابُهَا جَدِيدٌ، دَارٌ لَيسَ فِيها رَحْمَةٌ، وَلاَ تُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةٌ، وَلاَ تُفَرَّجُ فِيهَا كُرْبَةٌ ﴾[٢٧] ، وقوله في نفس الرسالة: ﴿ وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ، أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ الْآخِرَةِ، فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، وَلَمْ يُشَارِكُوا أَهْلُ الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ؛

سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سُكِنَتْ، وَأَكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أُكِلَتْ، فَحَظُوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظِيَ بِهِ الْمُتْرَفُونَ، وَأَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَهُ الْجَبَابِرَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ، ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْهَا بِالزَّادِ الْمُبَلِّغِ، وَالْمَتْجَرِ الرَّابِحِ ﴾[٢٨] .

ففي كلا النصين الراوي خارج مرويه ، ويروي عنه الاخر من محطة الغياب ، ويحضر هذا الراوي في الرسائل التي تتحدث عن عوالم الغيب أي عن الجنة والنار ، أو في الحديث عن السابقين الذين يعتبر بهم في الأمم البائدة ، أو من أهل الدين والتقى والطاعة .

۞ المروي له:

يقوم السرد على لغة متبادلة بين متكلم ومستمع ، أو بين راو ومروي له ، فالمروي له شريك الراوي ومن خلاله يتحقق التواصل السردي ، إذ لا بد ((من وجود مستقبل للسرد درجت الدراسات السردية على تسميته المروي له))[٢٩] ، وهو عنصر قار في البنية وإحدى الركائز الثلاث في مثلث البناء السردي ، والمروي له في رسائل الإمام يتخذ شكلين : (أحدهما أن يكون مشاركا في المروي وتصل مشاركته حد البطولة كقوله لابن عباس : ﴿ فَلَمَّا رَأَيْتَ الزَّمَانَ عَلَى ابْنِ عَمِّكَ قَدْ كَلِبَ وَ الْعَدُوَّ قَدْ حَرِبَ وَأَمَانَةَ النَّاسِ قَدْ خَزِيَتْ وَهَذِهِ الْأُمَّةَ قَدْ فَتَكَتْ فَتَكَتْ وَ شَغَرَتْ قَلَبْتَ لِابْنِ عَمِّكَ ظَهْرَ الْمِجَنِّ فَفَارَقْتَهُ مَعَ الْمُفَارِقِينَ وَ خَذَلْتَهُ مَعَ الْخَاذِلِينَ وَ خُنْتَهُ مَعَ الْخَائِنِينَ فَلَا ابْنَ عَمِّكَ آسَيْتَ وَلَا الْأَمَانَةَ أَدَّيْتَ وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنِ اللَّهَ تُرِيدُ بِجِهَادِكَ وَ كَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَكَأَنَّكَ إِنَّمَا كُنْتَ تَكِيدُ هَذِهِ الْأُمَّةَ عَنْ دُنْيَاهُمْ وَ تَنْوِي غِرَّتَهُمْ عَنْ فَيْئِهِمْ فَلَمَّا أَمْكَنَتْكَ الشِّدَّةُ فِي خِيَانَةِ الْأُمَّةِ أَسْرَعْتَ الْكَرَّةَ وَ عَاجَلْتَ الْوَثْبَةَ وَ اخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمُ الْمَصُونَةِ لِأَرَامِلِهِمْ وَ أَيْتَامِهِمُ اخْتِطَافَ الذِّئْبِ الْأَزَلِّ دَامِيَةَ الْمِعْزَى الْكَسِيرَةَ فَحَمَلْتَهُ إِلَى الْحِجَازِ رَحِيبَ الصَّدْرِ بِحَمْلِهِ غَيْرَ مُتَأَثِّمٍ مِنْ أَخْذِهِ كَأَنَّكَ لَا أَبَا لِغَيْرِكَ حَدَرْتَ إِلَى أَهْلِكَ تُرَاثَكَ مِنْ أَبِيكَ وَ أُمِّكَ ﴾[٣٠].

إن ابن عباس هو بطل ما يروى عليه من خيانة الأمانة ، وتضييع حق المسلمين والاستئثار بأموالهم ، وإنه أعان أعداء الإمام عليه بمحاصرته، وعدم التمسك بسيرته، أو قد يكون المروي له شريكا

كطرف مؤثر ولكن دون مستوى البطولة المتفردة في ما يروي عليه ومن النماذج التي يتجسد فيها هذا المروي له رسالته التي يخاطب فيها طلحة والزبير قائلا : ﴿فَقَدْ عَلِمْتُما- وَإِنْ كَتَمْتُما، أَنِّي لَمْ أُرِدِ النَّاسَ حَتَّى أَرَادُونِي، وَلَمْ أُبَايِعْهُمْ حَتَّى بَايَعُونِي، وَإِنَّكُمَا مِمَّنْ أَرَادَنِي وَبَايَعَنِي، وَإِنَّ العَامَّةَ لَمْ تُبَايِعْنِي لِسُلْطَانٍ غَالِبٍ، وَلاَ لِعَرَضٍ حَاضِرٍ﴾[٣١]، ونلحظ مثل هذا الراوي أيضا في رسالته لأهل البصرة التي يقول فيها :﴿وَقَدْ كَانَ مِنِ انْتِشَارِ حَبْلِكُمْ وَشِقَاقِكُمْ مَا لَمْ تَغْبُوْا عَنْهُ فَعَفَوْتُ عَنْ مُجْرِمِكُمْ وَرَفَعْتُ السَّيْفَ عَنْ مُدْبِرِكُمْ وَقَبِلْتُ مِنْ مُقْبِلِكُمْ﴾[٣٢] .

إن النصين المارين كان (المخاطب/المروي له) فيهما شريكا في الاحداث التي سيقت له ، ويكوّن محورا من محاورها التي دفعت بها وأنجزت مجرياتها ويدعى هذا المظهر من المروي له عند السرديين بالمروي له الممسرح ، لكونه داخل القصة ومتضمنا في شخوصها ، أما الشكل الثاني من المروي له فهو المفارق لمرويه وهو ربما أن يكون ممسرحا لأن الراوي يخاطبه بشكل مباشر أو يدعوه بصفة أو عنوان أو علامة تدل عليه ، وتستدعيه للحضور في جسد النص ، كما

في رسالته إلى عقيل بن أبي طالب ، وهو يروي له ما حدث مع بعض خصومه بقوله :﴿فَسَرَّحْتُ إِلَيْهِ جَيْشاً كَثِيفاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذلِكَ شَمَّرَ هَارِباً، وَنَكَصَ نَادِماً، فَلَحِقُوهُ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، وَقَدْ طَفَّلَتِ الشَّمْسُ لِلإِيَابِ ، فَاقْتَتَلُوا شَيْئاً كَلاَ وَلاَ، فَمَا كَانَ إِلاَّ كَمَوْقِفٍ سَاعَةَ حَتَّى نَجَا جَرِيضاً بَعْدَمَا أُخِذَ مِنْهُ بِالْمُخَنَّقِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ الرَّمَقِ، فَلاَيًا بِلاَيَ مَا نَجَا﴾[٣٣] .

إن عقيلا طرف غير مشارك في ما يروي له ، غريبا عن شخوص القصة ، لا يتعدى فيها دور المستمع الذي يتلقى الخبر ، ومنه رسالته لابن عباس بعد مقتل محمد بن أبي بكر والتي جاء فيها: ﴿ فَإِنَّ مِصْرَ قَدِ افْتُتِحَتْ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ- رَحِمَهُ اللهُ – قَدِ اسْتُشْهِدَ . . . وَقَدْ كُنْتُ حَثَثْتُ النَّاسَ عَلَى لَحَاقِهِ، وَأَمَرْتُهُمْ بِغِيَاثِهِ قَبْلَ الْوَقْعَةِ، وَدَعَوْتُهُمْ سِرّاً وَجَهْراً، وَعَوْداً وَبَدْءاً، فَمِنْهُمُ الآتِي كَارِهاً، وَمِنْهُمُ الْمُعْتَلُّ كَاذِباً، وَمِنْهُمُ الْقَاعِدُ خَاذِلاً﴾[٣٤] .

أو قد يكون هذا المروي له – المفارق المروية– عنوانا يشمل كل من تلقى الرسالة واطلع عليها ، سماعا ، أو قراءة في كل زمان ومكان ، لأن وجود المروي له المخصوص بالنص لا يمنع من إتاحة الحق لكل سامع ، أو قارئ بالتماهي معه فيضع نفسه موضع المروي له المقصود بالخطاب [٣٥] ، إذ ليس من الضرورة أن ينحصر الخطاب به، فهناك دائما أناس بالقرب[٣٦] ، ومعلوم أن ((عملية تقلص المسافة بين المروي له والقارئ لا تتحقق ما لم يكن المروي له غير ممسرح))[٣٧] لذا يكون الاطلاع على الرسائل بطريقة ما فاتحا الباب لكل قارئ ، وسامع ، ومخاطب أن ينوب عن المروي له ، ويحل مكانه .

۞ المروي :

وهو رسائل الإمام "عليه السلام" بأشكالها المختلفة ، ودواعيها المتعددة، إذ تشكل الخيط الواصل بين الركنين السابقين وتكتنه الأواصر الرابطة ، كما تكتنه العناصر الأخرى التي يبنى بها السرد .

المبحث الثاني

وسائل السرد

في القصة أو الرواية ، أو الشعر القصصي ، يلجأ الراوي إلى مجموعة من التقنيات والأساليب التي تعينه على تنويع القنوات في نقل الأحداث وتطوراتها ، ويلعب هذا التعدد في طرق الروي أثرا مهما في اجتلاب الأذهان والتشويق ، وتمتين الأواصر مع النص المحكي ، ولا يمكن بطبيعة الحال أن ننسب رسائل الإمام إلى جنس هذه الأنماط السردية ، لكننا في الوقت نفسه لا نعدم أن نجد فيها ما يشبه تلك الوسائل التي يتوسل بها أصحابها إلى إيصال مضامين قصصهم ، لأن اللغة بطاقاتها الكامنة ومدياتها الرحبة قادرة على أن تمد جميع المغترفين منها بشتى القوالب المنصاعة للتشكل والتجسد وبحسب الاغراض والمقاصد ، ولعل من أبرز هذه الوسائل السردية التي تجلت لنا في رسائل الإمام وسيلتين حيويتين هما :

١) الحوار:

وهو نمط من أنماط الكلام الملفوظ المتبادل بين شخصين أو أكثر ((يطلع به كل منهم

ما يعانيه، وما يضمره له وما يراه))[٣٨]، والحوار وسيلة للتواصل على عدة مستويات منها بين المرسل والمرسل إليه ، وبينه وبين من يتسنى لهم الاطلاع على الخطاب حال كتابته ، أو حال تلقيه، وكذا مع الذين يطلعون عليه رواية أو قراءة أو ربما مشاهدة ' إذا أتيح لقصته – الحوار– أن تجسد في عمل فني مرئي ، أو مسموع ، وفي كل آن ، ومكان ، وله وظائف متنوعة كتقديم الحدث ، أو الكشف عن الشخوص ، أو تحمل جزء من عملية السرد[٣٩] ، ولا يخلو في جميع أشكاله عن غاية فهو قد يكون ذا أهداف اجتماعية ، أو دينية ، أو تعليمية ، ويمكن من خلاله أن نتعرف على رغبات الشخصيات واتجاهاتها ، وأفكارها ، وطبائعها ، وعواطفها .

وهو في الغالب ما يلجأ إليه المتحدث لإقناع الاخر ، وإفهامه ، وبسببه تستطيع الأسئلة وإجابات هذه الأسئلة أن تعطي للمستفهم : طرائق ، ونماذجا يحتذيها ، فيبني على أثرها مفاهيمه ، وأخلاقياته ، وثقافته [٤٠] ويأتي الحوار بصيغ مختلفة لعل أشهرها:

أ- الحوار الخارجي المباشر (الدايلوج) :

وهو الحوار الذي لا تطرأ فيه على الكلام أية تعديلات ، أو تغييرات ، وإنما ينقل حرفيا[٤١] ، وكثيرا ما يأتي على لسان الشخصية التي تحل محل الراوي الذي يتلاشى فيه شيئا فشيئا[٤٢].

تتوافر أكثر رسائل الإمام على هذا الشكل الحواري سيما وأنها مبعوثة إلى أشخاص أو جماعات ، ويتضمن معظمها توجيهات ، ونصائح ، ومحاججات ، ومواعظ .

ولا ننسى كثرة ما دار فيها من نقاش قد يتطلب تكرار المخاطبات مع أناس من أمثال معاوية الذي استأثر بالنصيب الأوفر منها، أو مع غيره ممن كانوا في جانب الإمام أو على ضفة العداء والخصومة له.

فمن ذلك مثلا رسالته إلى معاوية التي يقول فيها :﴿ أما بعد : فإن مُساويك مع عِلْمِ الله تعالى فيك حالتْ بينك وبين أن يصلح لك أَمرُك ، وأن يرعوي قلبك يا ابن صخر ، يا ابن اللعين ، نزعمتَ أن يَزِنُ الجبالَ حِلمَكَ ، ويفصلُ بينَ أهلَ الشكِ

عِلْمُكَ ، وأنت الجلف المنافق ، الأغلف القلب ، القليل العقل ، الجبان الرذل ﴾ (٤٣)

تستبطن هذه الحوارية قصة المخاطب الذي انحرف عن الجادة إلى الدرجة التي حالت بها مساوئه بينه وبين رحمة الله التي يمكن أن تدركه لتصلحه ، كما ردت عليه – الحوارية – ما يزعمه ويدعيه زورا وكذبا من الحلم ، والعلم ، فضلا عن ما تقود إليه من ظلال قصة خلفها وهي قصة اللعن الصادر عن رسول الله بحق معاوية وأبيه وما رافقه من تعداد للصفات التي تظهر الشخصية بهيئتها المشينة ، وما عرف عنها من الجبن والرذالة ،وفي رسالة أخرى إلى معاوية أيضا يقول :﴿ فَيَا عَجَباً لِلدَّهْرِ إِذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِي الَّتِي لَا يُدْلِي أَحَدٌ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَدَّعِيَ مُدَّعٍ مَا لَا أَعْرِفُهُ وَلَا أَظُنُّ اللَّهَ يَعْرِفُهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ ﴾ (٤٤) .

إنه حوار يشي بمدى المرارة في ما آلت إليه أمور الدنيا والمسلمين بحيث أصبح يقرن أهل الحق والسابقة في الإسلام بأهل الباطل وأعداء الدين .

وفي رسالة الإمام عليه السلام إلى طلحة والزبير نجد حوارا غنيا بالمضامين التي تؤرخ لأحداث مهمة ، وتذكر بقيم وأخلاقيات قد أعرض عنها أصحاب الرسول فيقول : ﴿ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَلِمْتُمَا وَإِنْ كَتَمْتُمَا أَنِّي لَمْ أُرِدِ النَّاسَ حَتَّى أَرَادُونِي وَلَمْ أُبَايِعْهُمْ حَتَّى بَايَعُونِي وَإِنَّكُمَا مِمَّنْ أَرَادَنِي وَبَايَعَنِي وَإِنَّ الْعَامَّةَ لَمْ تُبَايِعْنِي لِسُلْطَانٍ غَالِبٍ وَلَا لِعَرَضٍ حَاضِرٍ فَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي طَائِعَيْنِ فَارْجِعَا وَتُوبَا إِلَى اللَّهِ مِنْ قَرِيبٍ وَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي كَارِهَيْنِ فَقَدْ جَعَلْتُمَا لِي عَلَيْكُمَا السَّبِيلَ بِإِظْهَارِكُمَا الطَّاعَةَ وَإِسْرَارِكُمَا الْمَعْصِيَةَ وَلَعَمْرِي مَا كُنْتُمَا بِأَحَقِّ الْمُهَاجِرِينَ بِالتَّقِيَّةِ وَالْكِتْمَانِ إنك يا زبير لفارس رسول الله (ص) وإنك يا طلحة لشيخ المهاجرين وَإِنَّ دَفْعَكُمَا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَدْخُلَا فِيهِ كَانَ أَوْسَعَ عَلَيْكُمَا مِنْ خُرُوجِكُمَا مِنْهُ بَعْدَ إِقْرَارِكُمَا بِهِ ﴾ (٤٥).

لقد عرَّفَنا الحوار في هذه الرسالة تفاصيل كثيرة منها : إن الزبير وطلحة بايعا طائعين ونكثا دون مسوغ ، وهو ما يعد خروجا على ما ألفه المسلمون من الوفاء للبيعة ، ولزوم العهد ، ومنها

ما دعا الإمام للاستغراب والحزن في أن من يفعل ذلك حواريّو الرسول وجنده وخاصة أصحابه .

وهكذا تسير أغلب رسائل الإمام مكتنزة حواراتها بالأحداث والتاريخ والاستعتاب والمواعظ ، والقيم ، والآلام ، والأحزان ، ممتلئة بالأسماء والصفات والأفعال .

ب-الحوار الداخلي (غير المباشر) المونولوج :

وهو الحوار الذي تنكفئ فيه الشخصية على ذاتها ، فتعبر عن أفكارها ، وأزمتها من تلقاء نفسها بلا وسيط [٤٦] ، ونستشف عن طريقه مواقفها ومشاعرها تجاه الحوادث والشخصيات ، ففيه ((تقترب من البوح والاعتراف ، وبطريقة تلقائية تخلو من التعمد والافتعال))[٤٧] ، ولم أجد في رسائل الإمام نماذج يحضر فيها هذا اللون من الحوار سوى رسالته إلى عثمان بن حنيف التي يسلك فيها الإمام مسلك المناجاة مع النفس فيصطخب الحديث في أعماقه وتلتهب به روحه وتكتوي ، فيرتفع به صوته قائلا : ﴿إِلَيْكِ عَنِّي يَا دُنْيَا فَحَبْلُكِ عَلَى غَارِبِكِ قَدِ انْسَلَلْتُ مِنْ مَخَالِبِكِ وَأَفْلَتُّ مِنْ حَبَائِلِكِ وَاجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ فِي مَدَاحِضِكِ أَيْنَ الْقُرُونُ الَّذِينَ غَرَرْتِهِمْ بِمَدَاعِبِكِ أَيْنَ الْأُمَمُ الَّذِينَ فَتَنْتِهِمْ بِزَخَارِفِكِ فَهَا هُمْ رَهَائِنُ الْقُبُورِ وَمَضَامِينُ اللُّحُودِ﴾[٤٨] .

هو حوار مع الذات يحكي قصة رجل وعى عالمه ، وعرف مخاطره ، واتعظ بمن سبقه ، وأخذ الحكمة مما حوله ، ويعرض كذلك قصة أناس مخدوعين نصبت لهم الشباك ، فراحوا صيدا سهلا وضعيفا .

٢) الوصف :

لون من ألوان التصوير يتكل الأسلوب الإنشائي ليقدم المظاهر الحسية للأشياء فيعطي((نظاما أو نسقا من الرموز والقواعد يستعمل لتمثيل العبارات، أو لتصوير الشخصيات أي مجموع العمليات التي يقوم بها المؤلف لتأسيس رؤيته الفنية))[٤٩].

فالوصف يعكس الصورة الخارجية لحال من الأحوال ، أو لهيئة من الهيئات فيحولها من صورتها المادية القابعة في العالم الخارجي إلى صورة أدبية قوامها نسيج اللغة وجمالها تشكيل الأسلوب [٥٠] ،

ويرتبط الوصف بفن الرسم ؛ لأن الأدب في حقيقته لون من ألوان التصوير ، وما الوصف إلا محاولة تقديم مشهد من العالم الخارجي في لوحة كلامية ، إذ في الرسم تعرض اللوحة أمام المتلقي دفعه واحدة في حين يعرضها النص الأدبي بصورة متتالية يقود فيها عين القارئ على طول الطريق التي يرسمها الراوي، وكما يكون الرسم قادرا على تقديم الأشكال والألوان والظلال ، فإن اللغة لا تقل عنه شأنا في تقديم وصف يقدم المظاهر الحسية للأشياء[٥١] وقد يبني الوصف الخطاب الذي ينصب على ما هو جغرافي ، أو مكاني ، أو شيئي ، أو مظهري سواء أينصب ذلك على الداخل أم الخارج [٥٢] .

وحين تتبعت الوصف في رسائل الإمام كتقنية أدبية ممكن أن تقودنا إلى ومضات سردية تقصر هنا وتطول هناك وجدته "عليه السلام" حصر وصفه في الأشخاص والأحداث ، ووصف في بعض رسائله النار والموت ، وأحوال الدنيا وأهلها من المغترين بها ، أو العازفين عنها من أهل التقى والصلاح ، ولم يؤد الوصف في الرسائل من وظائفه المعروفة (التزيين / التفسير / الايهام / التوثيق)[٥٣] سوى وظيفتين هما (التوثيق / التفسير) ، فالوصف التزييني لكونه يمنح الموصوف ((أبعادا جمالية وشموليه للشيء الموصوف ، وذلك من أجل أن يتخذ شكلا أروع وصورة أبدع في ذهن المتلقي))[٥٤] ، وهو ما تبتعد عنه رسائل الإمام لأنها تصف الأشياء بما يتفق وحقيقتها ، وكذلك تبتعد الرسائل عن الإيهام كوظيفة ينهض بها الوصف لأنها تخاطب عوالم واقعية ، ولا تخاطب عوالما وهمية تريد الإيهام بواقعيتها فمن الرسائل التي يصف بها حدث مقتل عثمان ، وتصرف طلحة والزبير وعائشة وما جرى بعده من بيعته يقول: ﴿ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ أَهْوَنُ سَيْرِهِمَا فِيهِ الْوَجِيفُ وَأَرْفَقُ حِدَائِهِمَا الْعَنِيفُ وَكَانَ مِنْ عَائِشَةَ فِيهِ فَلْتَةُ غَضَبٍ فَأُتِيحَ لَهُ قَوْمٌ فَقَتَلُوهُ وَبَايَعَنِي النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ وَلَا مُجْبَرِينَ بَلْ طَائِعِينَ مُخَيَّرِينَ ﴾ [٥٥] .

إذ تكفل وصف الإمام لحادث مقتل عثمان لأهل الكوفة ، ثم بيعته من بعده بالتوثيق للحادث ، وإطلاع أهل الكوفة على التفاصيل على الرغم من الإيجاز في العبارة ، وقصر الرسالة .

وفي رسالة أخرى يصف فعله مع أهل البصرة مفسرا ما جرى لجرير بن عبد الله البجلي حيث يقول

:﴿ فأعْذَرتُ في الدعاء ، وأقَلْتُ العَثرةَ ، وناشدتهم عقد بيعتهم ، فأبَوا إلا قتالي ﴾[٥٦] ومن رسالة أخرى يصف فيها المتقين :﴿ واعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ الآخِرَةِ فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ وَلَمْ يُشَارِكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سُكِنَتْ وَأَكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أُكِلَتْ فَحَظُوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظِيَ بِهِ الْمُتْرَفُونَ وَأَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَ الْجَبَابِرَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ ﴾[٥٧] .

هي صفات يترشح عنها السرد ، عرفنا على إثرها مسلك هؤلاء القوم (المتقين) في الحياة ، وكيف تعاملوا مع الأمور ببصيرة نافذة أنجتهم من المهالك وملكتهم لذائذ الدنيا والاخرة .

المبحث الثالث

عناصر السرد

الحدث، الشخصية، الزمان، المكان

۞ الحدث : –

تجمع الدراسات النقدية على أهمية الحدث في القصة ، لكونه الأساس الذي تبنى عليه ، والركيزة التي تستند إليها عناصر القصة الأخرى ، وهو في أبسط تعريفاته : فعل تقوم به إحدى الشخصيات ،أو جميعها[٥٨]، وفي تعريف آخر ((مجموعة من الوقائع الجزئية مرتبطة ومنظمة على نحو خاص))[٥٩] ، ويأتي الحدث بمعان عدة استقصتها بشكل جيد ومفصل الدكتورة بشرى الخطيب[٦٠] سواء على المستوى اللغوي أو الاصطلاحي .

لا يمكن أن نجد في رسائل الإمام حدثا يشكل بنية سردية متكاملة تدخله ضمن بنى سردية مجاورة، وإنما المراد هنا هو واحد من القصص الجزئية الصغيرة ، أو الأحداث العارضة التي يقف المرسل عندها وفي رسائل الإمام تذكر أحداثا متناثرة بإشارات موجزة جدا لكنّها مكثفة إما للإخبار أو لبيان

الحجة ، أو للوعظ ، أو للتذكير ، أو لإفهام الآخر أن لا يتطاول إلى أبعد من حدوده، أو يطمح فيما هو أكبر من حجمه.

إنّ الحدث في الرسائل بسيط البنية ينسجم ذكره مع المد النفسي ، والزخم العاطفي الذي يرافق كتابة الرسالة ، وأحيانا قد يتسلسل فيه الإمام استجابة للموقف وإيضاحا للخطاب أو للتفسير للمخاطب

على قدر استفهامه ، وهو يشكل نموذجا من السرد الحدثي يدعى بالتتابعي ، وتجب الإشارة أننا لا يمكن أن ندرس الحدث هنا بالكيفية التي يدرس بها في النصوص السردية ، أو نخضعه للتقييمات المتبعة هناك (التتابعي ، التضميني ، التناوب ، التوازي ، الحلقي) [٦١] ، ولكن نستطيع أن نصنف معظم الأحداث الواردة في الرسائل بالأحداث البسيطة ومن ذلك مثلا قوله : ﴿فَإِنِّي خَرَجْتُ مِنْ مخرجي هَذَا إِمَّا ظَالِماً وَإِمَّا مَظْلُوماً وَإِمَّا بَاغِياً وَإِمَّا مَبْغِيّاً عَلَيْهِ وَإِنِّي فَأُنشد اللَّهَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هَذَا لَمَّا نَفَرَ إِلَيَّ فَإِنْ كُنْتُ مُظْلوماً أَعَانَنِي وَإِنْ كُنْتُ ظالماً اِسْتَعْتَبَنِي، والسلام ﴾[٦٢].

هي رسالة مقتضبة جدا ، وتذكر حدثا موجزا، وهو خروج الإمام من دون الدخول في تفاصيل هذا الخروج أو وجهته ،أو أولياته و أسبابه، أو مقاصده، فكان لا يعدو حدود الإخبار بالخروج .

وقد تنطوي الرسالة على ذكر مجموعة من الأحداث البسيطة التي تأخذ هيأة النسق الحلقي ، وهو نسق بنائي يكون فيه السرد ((حلقات متداخلة مع بعضها يربطها جسر من أحداثها ، أو شخصياتها بحيث يكون هذا الجسر الرابط الفني والدلالي لأحداثها))[٦٣] ، ولعل السبب في تسلسل غرض الرسالة وما يتطلبه من الإكثار من الشواهد ، ومن ذلك رسالته إلى معاوية في أمر البيعة: ﴿إِنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ . . .وإن طلحة والزبير بايعاني ،ثم نقضا بيعتهما ،وكان نقضهما كردتهما ،فجاهدتهما بعدما أعذرت إليهما ،حتى جاء الحق ،وظهر أمر الله وهم كارهون ، . . . .وَقَدْ أَكْثَرْتَ فِي قَتَلَةِ عُثْمَانَ ففإن أنت رجعت عن رأيك وخلافك ودْخُلْتَ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ المسلمون ثُمَّ حَاكمتَ الْقَوْمَ إِلَيَّ حُمِلْتُكَ وَإِيَّاهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَمَّا تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُهَا فَإِنَّهَا خُدْعَةُ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ ﴾[٦٤].

تذكر الرسالة مجموعة من الأحداث منها بيعة المهاجرين و الأنصار ، وقتال الإمام للزبير وطلحة، ومقتل عثمان ، ومطلب معاوية في تسليم قتلة عثمان ، وهي أحداث متفرقة يربطها أمر واحد وهو مطالبة الإمام بحقه في البيعة .

أما شكل الحدث المتتابع المتسلسل الذي يسمى النسق التتابعي ، وهو نسق يتوالى فيه سرد ((الأحداث الواحد تلو الآخر مع وجود ترابط بينها))[٦٥] ، إذ الأحداث فيه مرتبة ومتسلسلة ، فيكون السابق سببا للاّحق ، ويكون اللاحق نتيجة لما سبقه[٦٦]، فلم يرد في رسائل الإمام بهذه الهيئة المجزئة تجزيئاً يراد منه إيصال قصة كاملة بتفاصيلها إلا في رسائل قليلة جدا منها الرسالة التي يقص فيها على معاوية مواقفه عليه السلام في الدفاع عن الدين ، وشجاعته في قتل أعداءه الذين هم خاصة معاوية ولحمته فيقول: ﴿ فَأَنَا ابنُ عَبدِ المُطَلَبْ صَاحِبُ السيف ، وإنَّ قَائمتهُ لفي يَدي ، وَقَدْ عَلِمتَ من قَتلتُ به من صَنَادِيد بني عبد شَمَسْ ، وفَرَاعِنَةِ بني سَهْم وجُمَح ، وبني مَخْزوم ، وأيتمْتُ أبناءهم وأيْمت نساءهم ، وأذكرك ما لستَ له ناسياً يومَ قَتلتُ أخاك حَنْظلة ، وجررتُ برجلهِ إلى القَلِيب وأسرتُ أخاكَ عمراً ، فجعلتُ عنقه بين ساقيه رِباطاً ، وطلبتك ففررْتَ ولك حُصَاص ، فلولا أني لا أَتْبعُ فاراً لَجعلتُكَ ثالِثهُما ﴾[٦٧] .

❁ الشخصية : -

العمل القصصي هو مجموعة من الأحداث تجري في زمان ومكان ، وهذه الأحداث بزمانها ومكانها لا تعني شيئا مالم تتجسد بفاعل ، وهذا الفاعل هو الشخصية ، فإذا كانت الحادثة هي لب القصة فإن الشخصية هي لب الحادثة[٦٨]، ولا يمكن أن يخلو السرد من الشخصية ، كما لا يمكن فهم الحوادث واستيعابها من دون وجود الشخصية ، ومثل بقية العناصر لا تعالج الشخصية في رسائل الإمام كما تعالج في الأعمال السردية الأخرى ، ومما لا شك فيه أن شخصيات الرسائل العلوية ذات بعد له مرجعيته الواقعية ، فهي شخصيات تنتمي لعالمنا بينما تلك تنتمي لعالم الخيال ، وندرك أنه لو كان صاحب هذه الرسائل هو غير الإمام علي لداخلنا إحساس أن الشخصيات المذكورة قد لا تنطبق عليها صفاتها ، لاعتقادنا إن الراوي بالغ في ذم هذا ، أو قصر في مدح ذاك ، أو أنه ذكر من ذكره منهم وقد شاب مشاعره حقد أو حسد ، أو لعله كان مجاملا في إسباغ سمات ومزايا بعضهم ، وغيرها من الشكوك والتصورات التي يمكن أن ترد على خواطرنا .

إن أغلب شخصيات الرسائل قدمت لنا بلسانه هو ، وحسب زاوية نظره بما فيها شخصيته ، وقد طالعتنا شخصيات متنوعة منها : الجماعية كأهل البيت الذين قال عنهم: ﴿كُنا أهلَ البيتِ أولَ مَنْ آمَنَ به وصَدَقَهُ فيما جاء ، فبِتْنا أحوالاً كاملة مُحَرمة تامة ، وما يُعبدُ الله في ربعٍ ساكنٌ من العرب غيرُنا .... فكَانَ إذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ وَأَحْجَمَ النَاسُ قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَوَقَى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ السُّيُوفِ وَالْأَسِنَّةِ فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ وَقُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ وَقُتِلَ جَعْفَرٌ يَوْمَ مُؤْتَةَ﴾ (٦٩).

أو كقريش الشام حين خاطبهم:﴿وأنتم في ذلك الزمان أعداء للرسول تكذّبون بالكتاب مُجْمِعون على حرب المسلمين، من ثَقُفْتم منهم حبستموه ، أو عذّبتموه ، أو قتلتموه ، ..... فكنتم فيمن دخل في هذا الدين، إما رغبةً وإما رهبةً﴾ (٧٠).

ومنها شخصيات الخلفاء:﴿ ثم إنّ المسلمين استخلفوا به أميرين صالحين، عَمِلا بالكتاب والسنّة، وأَحْسَنَا السيرة، ولم يَعْدُوا السنّة، ثم توفّاهما الله ، ثم وُلِّيَ بعدهما وال فأحدث أحداثاً، فوجدت الأُمّة عليه مقالاً فقالوا، ثم نَقِمُوا عليه فغيّروا، ثم جاءوني فبايعوني﴾ (٧١) .

وشخصيات منفردة كشخصية معاوية التي استأثرت بأكثر الرسائل، وقد وصفه الإمام بشتى الأوصاف نأخذ من ذلك مثلا رسالته التي يخاطبه فيها هو وعمرو بن العاص قائلا :﴿الفاجر بن الفاجر معاوية ، والفاجر بن الكافر عمرو المتحابين في عمل المعصية ، والمتوافقين المرتشيين في الحكومة المنكرين في الدنيا﴾ (٧٢).

أو كشخصيات أصحابه وعماله وقادته وخاصته نذكر منها أهمها شخصية مالك الأشتر إذ يقول فيه:﴿السلام عليك يا مالك ، فإنك ممن أستظهر به على إقامة الدين ، وأقمع به نخوة الأثيم ، وأسد به الثغر المخوف﴾ (٧٣) ويقول عنه في رسالة أخرى: ﴿بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْداً مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَا يَنَامُ أَيَّامَ الْخَوْفِ وَلَا يَنْكُلُ عَنِ الْأَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ حذار الدوائر، أَشَدَّ عَلَى الْفُجَّارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ، وأبعد الناس من دنس أو عار﴾ (٧٤).

أو كشخصية محمد بن أبي بكر الذي جاء في نعيه قوله: ﴿ فَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُهُ وَلَداً نَاصِحاً وَعَامِلاً كَادِحاً وَسَيْفاً قَاطِعاً وَرُكْناً دَافِعاً ﴾[٧٥] .

وشخصية زياد: ﴿ إِنَّكَ تُكْثِرُ مِنَ الأَلْوانِ المُخْتَلِفَةِ فِي الطَّعَامِ فِي اليومِ الوَاحِد ، وَتَدهنُ كلَ يوْم ..... أَفَتَطْمَعُ وأنتَ مُتَمَرِغٌ فِي النَّعِيمِ تَسْتَأْثِرُ بِهِ علىٰ الجَارِ والمِسْكِينِ ، والضعيفِ والفقيرِ .... وأنَّك تَتَكَلَّمُ بِكَلامِ الأَبْرَارِ ، وَتَعْمَلُ عَمَلَ الخَاطِئِين ﴾[٧٦].

وشخصية ابن عباس ﴿ وَجَعَلْتُكَ شِعَارِي وَبِطَانَتِي وَلَمْ يَكُنْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِي أَوْثَقَ مِنْكَ فِي نَفْسِي لِمُوَاسَاتِي وَمُوَازَرَتِي وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ إِلَيَّ فَلَمَّا رَأَيتَ الزَّمَانَ ... ﴾.

وهكذا نرى كل شخصية قد أحاطت بها خيوط حكاية، أو قادتنا إلى محطات أعمال نهضت بها .

۞ الزمن:

للنقلات الزمنية أهميتها الظاهرة في بناء القصة ، فالقص من أكثر الأنواع الأدبية التصاقا بالزمن ، لأنه من الفنون الزمانية ، أما الرسم والنحت والعمارة فهي مكانية[٧٧]والزمن زمان : موضوعي وتعنى به الفيزياء ، وذاتي يدخل في نسيج التجربة الإنسانية ويعنى به الأدب ، فالأول له أبعاده الموضوعية الممكنة القياس ، والاخر متلون بتلون تجربة الإنسان ، وما يسمى بالزمن فهو هذا الأخير غالبا[٧٨]

ويرتبط الزمن بالشخصية ارتباطا وثيقا ، فهو مجسد فيها ظاهر من خلالها[٧٩]يتغير مساره بتغيّرها في السرد ، إذ حين تظهر أكثر من شخصية في القصة ، فإن ذلك يقتضي الانتقال من واحدة إلى أخرى ، وترك الخط الزمني للأولى ، للتعرف على ما تفعله الثانية[٨٠]، كما أن الشخصية ((عبر تجوالها في صيغ الزمن الثلاث [الماضي ، الحاضر ، المستقبل] تكشف عن قيمها الفكرية ، والحياتية ، والزمن حين يساير الشخصية يكشف عن تأثيره المباشر فيها))[٨١] فهو صاحب اليد الطولى في تحديد موقفها من الحياة فأما أن يكون الماضي عالمها الذي تحن إليه ، وتهفو لسماعه فتكون أسيرته ، وأما أن تضع المستقبل نصب

أعينها ، فهي تشعر بقيمة الحياة والتفاعل معها ، وتحس بالتواصل مع كل جديد فيها(٨٢) .

وتوظف رسائل الإمام النقلات الزمنية كثيرا لتخدم مقاصده في مخاطبة الاخر ، فمره تأتي وهي تعبر عن شكوى مُرَّةٍ، وتعجب ممض عندما تعرض لقطعة من الحاضر المتعب ،كما في قوله: ﴿ فَيَا عَجَباً لِلدَّهْرِ إِذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِي الَّتِي لَا يُدْلِي أَحَدٌ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَدَّعِيَ مُدَّعٍ مَا لَا أَعْرِفُهُ ﴾(٨٣) .

إن هذا الضيق والاستغراب تشبهه أكثر من علامة تعجب يطلقها الإمام في رسائله في عتبات زمنية يمرُّ بها على الماضي موظفا تقنية الاسترجاع ، التي تجعلنا بارتدادات متلاحقة إلى الوراء نشاركه همه ونعيش آلامه ، والاسترجاع أو الاستذكار هو أحداث ماضية يتم استرجاعها إلى الحاضر وهو مما يلجأ إليه المتكلم إما لإنشاء المفارقة الزمنية ، أو لدعم حديثه بشاهد ، أو لتعزيز الذكريات، وهي جميعها تؤدي إلى تجاوز محطة (الآن)، والكشف عن السقيم من الزمن مقابل المستقيم والحسن سواء في اللحظة الراهنة ، أو فيما مرَّ من العمر ، أو فيما يستشرف أن تكون عليه الأمور، وفي جميع ذلك نحصل على استضاءة لجوانب خافية علينا ، ومن هذا الماضي الذي يستغرب له الإمام في رسائله قوله : ﴿ فَمَا رَاعَنِي إِلَّا انثِيَالُ النَّاسِ عَلَى أَبِي بَكْرٍ ، وَإِجْفَالُهُمْ إِلَيْهِ لِيُبَايِعُوهُ ، فَأَمْسَكْتُ يَدَيَ ، وَرَأَيْتُ أَنِّي أَحَقُّ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ فِي النَّاسِ مِمَّنْ تَوَلَّى الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ ، فَلَبِثْتُ بِذَاكَ مَا شَاءَ اللَّهُ . . . فَلَمَّا احْتَضَرَ بَعَثَ إِلَى عُمَرَ فَوَلَاهُ . . . حَتَّى إِذَا احْتَضَرَ قُلْتُ فِي نَفْسِي لَنْ يَعْدِلَ بِهَا عَنِّي ، لَيَسُرَّنَّ يُدَافِعُنِّي عَنْهَا ، فَجَعَلَهَا عُمَرُ شُورَى ، وَجَعَلَنِي سَادِسَ سِتَّةٍ ، فَمَا كَانُوا لِوِلَايَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَشْدُ كَرَاهَةً لِوِلَايَتِي عَلَيْهِمْ ﴾(٨٤) ، ومن تلك الارتدادات ذكره لأحداث الخوارج قائلا :

﴿ فانخذلت عنا فرقة منا ، فتركناهم ما تركونا ، حتى إذا عاثوا في الأرض مفسدين ، وقتلوا المؤمنين أتيناهم فقلنا لهم ادفعوا إلينا قتلة اخواننا ، ثم كتاب الله بيننا وبينكم ، فقالوا كلنا قتلهم ، وكلنا استحللنا دماءهم ودماءكم ، وشدت علينا خيلهم ورجلهم ، فصرعهم الله مصارع القوم الظالمين ﴾(٨٥) .

هكذا يُظهر لنا الاستذكار أحداثا وشخصيات وأحزابا ، وينبئنا عن الأفكار والبواعث والظروف التي أحاطت بها ومسارات النهايات التي آلت اليها.

إن الأزمنة تتشابك ، ويتكرر القفز من أحدها إلى الاخر باستمرار في أغلب نصوص الرسائل حيث تكون لقطة الانطلاق داما من الحاضر ، ومنه يضم الغوص في عمق الماضي عن طريق الاسترجاع ، أو تتجه إلى الأمام باتجاه المستقبل ، وهو ما يسميه السرديون بالاستباق تمهيدا ، أو إعلانا عن أحداث تأتي قبل وقوعها تستقرؤها بصيرة الإمام النافذة ، وتستجليها نفسه الشفافة التي أشربت بالضياء من أستاذه محمد(ص) فمن ذلك نقرأ قوله عليه السلام يخبر معاوية عن لحظة آتية لا محال من لحظات الصراع الذي يقوده ضده ، ويخبره بلقطة مفصلية كأنه يراها ويعيشها إذ يقول له: ﴿فكأني قد رأيتك تضج من الحرب اذا عضتك ضجيج الجمال بالأثقال ، وكأني بجماعة تدعوني – جزعا– في الضرب المتتابع ، والقضاء الواقع ، ومصارع بعد مصارع إلى كتاب الله وهي كافرة جاحدة، أو مبايعة حائده﴾[٨٦] ، لكن النفوس الظلامية لا تعدو ونظرتها شهوتها ومآربها الدنيئة ، فيصعب عليها تصديق ذوي البصائر لذا يرد عليه معاوية ((دعني من أساطيرك))[٨٧] .

۞ المكان

للمكان دور بارز في البناء القصصي ، بل هو البنية الأساسية التي ينهض عليها السرد ولا يمكن تصور أحداث روائية إلا بوجود مكان تنمو فيه الأحداث وتتشعب ، إذن للمكان دور فعال في النص الروائي فدوره مكمل لدور الزمان في تحديد دلالة السرد .

فإذا كان النص السردي يعتمد على تشكل عناصره فيما بينها من خلال اقامة علاقات متكافئة مع بعضها البعض فإن ثمة علاقة جدلية قائمة بين هذه العناصر والمكان .[٨٩]

والمكان في النص الأدبي هو " المكان اللفظي المتخيل أي المكان الذي صنعته اللغة انصياعاً لأغراض التخييل الروائي (القصص) وحاجته .[٩٠]

ومن الضروري أن نتذكر أن المكان هو عنصر من عناصر البنية السردية لا يمكن أن يؤدي وظيفتهُ المرجوة إلا من خلال العلاقات التي

يبنيها مع سائر المكونات السردية الأخرى مؤثراً فيها أو متأثراً بها على حد سواء ولذلك فإنه (بقدر ما يصوغ المكان هذه العناصر يكون هو أيضاً من صياغتها وتلتحم كل العناصر المكونة للنص الروائي وتكتمل الوحدة العضوية للعمل) .[٩١]

ولهذا لا يمكن عد المكان (عنصراً زائداً في الرواية فهو يتخذ اشكالاً ويتضمن معاني عديدة ، بل إنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كلهُ) .[٩٢]

وهكذا يتعدى المكان دوره الظاهري بوصفه مكاناً لوقوع الأحداث وخلفية تتحرك أمامها الشخصيات إلى فضاء رحب يشع بالدلالات التي تؤثر في البناء السردي .

وقد جاء ذكر المكان في رسائل الإمام (عليه السلام) صريحاً مباشراً له دلالة مرجعية إشارية كما هو الحال في أسماء الأمصار والأماكن المقدسة ، الأماكن الطبيعية والغيبية وغيرها .

ولابد من الإشارة هنا إن عنصر المكان في الرسائل العلوية هو الأقل حظاً من جانب الوفرة مقارنة بعناصر السرد الأخرى .

لذا ينبغي أن لا يؤاخذ على رسائل الإمام (عليه السلام) في اهمال المكان فإن هذا من شأن المؤرخ الذي يعنى بالقصص كتاريخ لا كعضات وعبر[٩٣].

ومن النماذج التي يتجسد فيها المكان رسالته إلى عُثمانَ بن حُنَيفٍ الأنصاري ، وهو عامله على البصرة والتي من ضمنها قال ﴿بلىٰ كانت في أيدينا (فَدَكٌ) من كل ما أظلتْهُ السماء ، فشحت عليها نفوس قومٍ ، وسَخَتْ عنها نفوسُ آخرين ، ونِعْمَ الحكمُ اللهُ ، وما أصنعُ بـ (فَدَكٍ) وغير (فدكٍ) والنفس مظانها في غدٍ جَدَثٌ ، تنقطعُ في ظُلَمَتِهِ آثارُها ، وتغيبُ أخبارها ، وحفرةٌ لو نزيدَ في فُسحتها ، وأوسعتْ يدا حافرها ، لأضغطها الحجرُ والمدرُ ، وسد فُرَجها التراب المتراكم﴾ .[٩٤]

فَفَدك كانت قريةٌ لرسول الله (ص) وإجماع الشيعة على أن الرسول (ص) أعطاها إلى فاطمة (ع) قبل وفاته إلا أن أبا بكر(رضي الله عنه) ردها لبيت المال قائلاً (إنها كانت مالاً في يد النبي (ص) يحمل به الرجال وينفقه في سبيل الله وإنا إليه كما كان عليه) .[٩٥]

فمن خلال هذا النص أراد الإمام (عليه السلام) أن يبين عائدية هذا المكان وذلك ببيان أصحابه الحقيقين

وهم النبي وأله الطاهرين (ص) ، وكيف أن هناك قوم قد شحت نفوسهم أي طمعوا بهذا المكان بينما قوم آخرين سخت نفوسهم وهم بنو هاشم .

ثم بين الإمام (عليه السلام) زهده بـ(فدك) وغيرها بقوله (وما أصنع بفدك) مذكراً بالقبر ذلك المكان الذي يشعر الإنسان بحتمية المصير كما يحمله الكثير من المعاناة النفسية والفكرية التي توحي بهول هذا المكان .

كما جاء ذكر مكة المكرمة في رسالة بعثها إلى قُثَمِ بن العباس وهو عامله على مكة والتي من ضمنها ﴿ومُرْ أهل مكة أن لا يأخذ وامِن ساكنٍ أجْراً ، فإن الله سبحانه يقول ﴿سواءً العاكف فيه والباد﴾ [٩٦] فالعاكف المقيم به ، والبادي : الذي يجُ إليه من غير أهله﴾ .[٩٧]

فمكة هي من الأماكن المقدسة بل هي أقدس رقعة على وجه الأرض كونها تضم بيت الله الحرام الذي يحجه الناس قبل الإسلام وبعده ، والإمام (عليه السلام) أراد هنا أن يبين أن أهل مكة كانوا لا يأخذون الأجر من الحجيج الذين سكنوها سواءٌ من أهلها أم من غيرهم .

وكذلك يبدي الإمام (عليه السلام) نصيحته إلى أصحابه في رسالة إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة والتي من ضمنها ﴿وأعلموا أن دار الهجرة قد قلعت بأهلها وقلعوا بها وجاشت جَيْشَ المرجل ، وقامت الفتنة على القطب ، فأسرعُوا إلى أميركم ، وبادروا جهاد عدوكم ، إن شاء الله﴾ .[٩٨]

فدار الهجرة هي المدينة المنورة ، حيث نجد الإمام (عليه السلام) يوجه النصح والإرشاد إلى أصحابه بأن يقتدوا بأهل دار الهجرة وأن يعدوا العدة والإسراع لمجاهدة عدوهم ومقاتلة أهل الفتنة والمقصود بهم أصحاب الجمل .

أما الأماكن الطبيعية فقد جاء ذكر (الجبل) في أحدى رسائل الإمام (عليه السلام) إلى معاوية والتي منها ﴿فأراد قومنا قتل نبينا ، واجتياح أصلنا ، وهموا بنا الهموم ، وفعلوا بنا الأفاعيل ، ومنعونا العذب ، وأحلسونا الخوف واضطرونا إلى جبل وعر﴾ .[٩٩]

فالنص يحكي معاملة قريش للنبي(ص) في أول البعثة وما تعرض له من مضايقات ومحاولة للاستئصال ، وكيف حرموه هنيء العيش وجاهروه العداوة ، وجعلوه مضطراً إلى اللجوء إلى جبل وعر

، فاختيار النبي(ص) للجبل وذلك لما يحمله الجبل من اعتبارات فهو الحماية والملجأ الآمن الذي يأوي إليه الإنسان من عنت الحياة ، فضلاً عن كون الله (عز وجل) قد خصه بوقار وهيبة وشموخ ومن هنا يتبين إن الإمام (عليه السلام) قد عمل على (أحياء المواد الحسية الجامدة وإكسابها إنسانية الإنسان وأفعاله) .[١٠٠]

ومن الأماكن التي كان لها نصيب من رسائل الإمام (عليه السلام) هي الأماكن الغيبية كـ (الجنة والنار) حيث وردنا في رسالة بعثها إلى معاوية جواباً على كتابٍ منه حيث قال ﴿ فأما طلبك إلي الشام فأني لم أكن لأُعطيك اليوم ما منعتك أمس . وأما قولك " إن الحرب قد أكلت العرب إلا حُشاشات أنفس بقيت " ألا فمن أكله الحق فإلى الجنة ، ومن أكله الباطل فإلى النار ﴾ .[١٠١]

يتبين لنا من هذين النقيضين أن الجنة والنار مكانان مغيبان عن المدركات الحسية إذ لا يمكن أن نتعامل معهما تعاملاً حسياً يجعلنا نقف عليهما كما نقف على الأماكن الواقعية ، إلا ان السر له امكانات تركيبية فنية هائلة وطاقات تصويرية عجيبة وهذا ما يمكنه من تقريب المكان الغيبي إلى مخيلتنا .

أما فيما يتعلق بالأمصار فقد جاء في رسائل الإمام (عليه السلام) بعض الإشارات إلى تلك المدن ومنها رسالته إلى عبدالله بن عباس وهو عامله على البصرة حيث قال ﴿ أعلم أن البصرة مهبط ابليس ومغرس الفتن فحادث أهلها بالإحسان إليهم وأحلل عقدة الخوف عن قلوبهم ﴾ .[١٠٢]

فالإمام (عليه السلام) يدعوا عامله عبدالله بن عباس إلى حسن المعاملة مع أهل البصرة واصفاً اياها بأنها مهبط ابليس وذلك لكثرة الفتن فيها في ذلك الوقت .

ومن ذلك ايضاً رسالته إلى محمد بن أبي بكر بعد أن ولى الأشتر على مصر بدلاً عنه قائلاً ﴿ إنَّ الرَجُلَ الذي وَلَيتُهُ أَمْرَ مِصْرَ ، كَانَ لَنَا رَجُلاً نَاصِحاً وعلى عَدُونا شَدْيداً نَاقِماً ، فَرَحِمَهُ الله فَلَقَدْ اِسْتَكْمَلَ أَيَّامَهُ وَلاقىٰ حِمَامَهُ ﴾ [١٠٣].

فالإمام (عليه السلام) يبين مدى اخلاص مالك الأشتر وكفاءته في الدفاع عن الإسلام وعن الرسالة المحمدية إلا أن الأشتر قد وافاه الأجل قبل وصوله

ومن خلال ما تقدم تبين لنا أن عملية تشكيل المكان والكشف عن تجلياته تتباين بين كاتب وآخر

فمنهم من يقدم خلفية موسعة للمكان إذ يشعر القارئ بـأدق تفاصـيل المكـان وتـنعكس فـي ذهنـه تقاليـده ومواصفاته ومنهم من يقتصر على إشارات خاطفة يكتفـي بهـا كمـا هـو الحـال فـي رسـال الإمـام علي(عليه السلام).

نتائج البحث

١. لـم يكـن الأسـلوب القرآنـي الـذي يوظـف القـص كوسـيلة مـن أهـم وسـائله الخطابيـة ببعيـد عـن الإمـام علـي عليه السلام وهـو تلميـذ القـرآن ، لـذا ظهـر هـذا النسـق الأسـلوبي فـي كـل نتاجـه الكلامـي الذي من بينه الرسائل موضوع الدراسة .

٢. لا يمكـن أن نَـدّعي فـي الرسـائل غايـة سـردية وإنمـا كانـت غايتهـا إبلاغيـه توصـيلية لـذا كـان السرد حاضراً فيها بلمحات خاطفة متجلياً من خـلال عناصـره ولـيس بنيـات قصصـية كـالتي يلجأ إليها القصاص والرواة والوعاظ.

٣. إن حضـور العناصـر السـردية أكسـب الرسـائل قيمـة أدبيـة عُليـا كونهـا مكتنـزة بتنـوع اسـلوبي يكون الملمح السردي أحد خطوطه.

هوامش البحث

(١)السردية العربية ، د. عبد الله ابراهيم ، ص١١

(٢)ينظر : الشخصية في قصص الامثال العربية ، د. ناصر الحجيلان ، ص٨٣

(٣)ينظر : معجم المصطلحات الادبية ، د. سعيد علوش ، ص١١١

(٤)ينظر : البنية السردية في آداب كاظم حجاج ، اثير حميد محمد المجرن ، ص١١

(٥)ينظر: الفن القصصي في القرآن ، احمد خلف الله ، ص١٥٦

(٦)ينظر : بنية السيرة الذاتية في السرد العراقي الحديث ، آيات صاحب اسماعيل ، ص٨٣ .

(٧)في نظرية الرواية ، د. عبد الملك مرتاض ، ص٨١

(٨)ينظر : البنى السردية في شعر آوس بن حجر وشعر رواته الجاهليين ، د. عواد كاظم ، ص٢٨

(٩)ينظر : البنى السردية في شعر عبد الوهاب البياتي ، عقيل رحيم كريم ، ص٨٢

(١٠) الشخصية في الامثال العراقية ، ص٩١

(١١) مدخل الى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا ، سمير المرزوقي
(١٢) ينظر : الصوت الاخر فاضل ثامر ، ص٤٧
(١٣) ينظر : م . ن ، ص١٨٣
(١٤) ينظر : خطاب الحكاية ، جيرار جنيت ، ص٢٥٩
(١٥) تقنيات السرد الروائي ، يمنى العيد ، ص١٠٠
(١٦) نهج البلاغة ، شرح محمد عبده ، ص٣٩٦-٣٩٧
(١٧) النهج ، ص٤٢٩
(١٨) ينظر : بنية السيرة الذاتية في السرد العراقي الحديث ، ص٦٢
(١٩) ينظر : خطاب الحكاية ، ص٢٦٢
(٢٠) النهج : ص٣٩٨-٣٩٩
(٢١) جمهرة رسائل العرب ، احمد زكي صفوت ، ج١ / ص٣٧٤- ٣٧٥
(٢٢) تحليل الخطاب الروائي ، سعيد يقطين ، ص٢٩٢
(٢٣) ينظر : ابحاث في النص الروائي العربي ، سامي سويدان ، ص١٨٨
(٢٤) النهج ، ص٣٩١
(٢٥) م . ن ، ص٤٨١
(٢٦) ينظر : البنية السردية في شعر الصعاليك ، د. ضياء غني لفته ، ص١٢١
(٢٧) النهج ، ص٤١٢-٤١٣
(٢٨) م . ن ، ص٤١٣
(٢٩) قصص الحيوان جنسا ادبيا ، خالد سهر ، ص٢٦٨ .
(٣٠) النهج : ص٤٤٢-٤٤٣
(٣١) النهج : ص٤٧٨
(٣٢) م . ن : ص٤١٩
(٣٣) النهج : ص٤٣٨

(٣٤) م . ن : ص٤٣٧

(٣٥) ينظر : البنى السردية في شعر سعدي يوسف ، علي داخل فرج الخزعلي ، ص٣١

(٣٦) خطاب الحكاية ، ص٢٦٨

(٣٧) السردية في النقد الروائي العراقي ، احمد رشيد وهاب الدرة ، ص٢٢٧

(٣٨) الراوي، الموقع ، الشكل ، يمنى العيد ، ص٢٢

(٣٩) ينظر: البنية القصصية في الشعر المهجري ، حامد علي غيلان ، ص٥٠

(٤٠) البنى السردية في شعر نزار قباني ، انتصار جواد عيدان ، ص٦٩

(٤١) ينظر : الشعرية ، تودوروف ، ص٤٦

(٤٢) ينظر: خطاب الحكاية ، ص١٨٨

(٤٣) الجمهرة ، ص٣٨٩

(٤٤) الجمهرة ، ص٣٨٩

(٤٥) الجمهرة ، ص٣٣٣

(٤٦) خطاب الحكاية ، ص١٨٨

(٤٧) البنى السردية في شعر نزار قباني ، ص١٣٣

(٤٨) الجمهرة ، ص٢٩٣

(٤٩) ضحك كالبكاء ، ادريس الناقوري ، ص١٢٧

(٥٠) ينظر : شخصيات قصة يوسف في القرآن الكريم ، نبهان حسون عبد الله ، ص١٠٢

(٥١) ينظر : شخصيات قصة يوسف ، ص١٠٢

(٥٢) ينظر : م . ن ، ص١٠٢

(٥٣) ينظر : بنية النص السردي ، حميد لحمداني ، ص٧٩ وبناء الرواية ، ص٨٠

(٥٤) بناء الرواية ، ص٨٠

(٥٥) الجمهرة ، ص٣٢٧

(٥٦) م . ن ، ص٣٣٦

(٥٧) م . ن ، ص٤٦٨

(٥٨) ينظر: دراسات في القصة العربية الحديثة ، محمد سلام زغلول ، ص١١ . والبنية القصصية في الشعر الاموي ، محمد سعيد حسين مرعي ، ص٢٣

(٥٩) الادب وفنونه ، عز الدين اسماعيل ، ص١٥٩

(٦٠) ينظر القصة والحكاية في الشعر العربي في صدر الاسلام والعصر الاموي ، بشرى الخطيب ، ص٣٦-٤٠

(٦١) ينظر : الملحمية في الرواية العربية المعاصرة ، سعد عبد الحسين العتابي ، ص١٧٧

(٦٢) الجمهرة ، ص٣٣٢-٣٣٣

(٦٣) الملحمية في الرواية العربية المعاصرة ، ص١٧٧

(٦٤) الجمهرة ، ص

(٦٥) تحليل الخطاب الروائي ، ص٣٠

(٦٦) ينظر : البناء الفني في الرواية العربية في العراق ، شجاع مسلم العاني ، ص١٣

(٦٧) الجمهرة ، ص٣٧٤-٣٧٥

(٦٨) ينظر: بنية السيرة الذاتية في السرد العراقي ، ص٦٢

(٦٩) الجمهرة ، ص٣٨٧-٣٨٨

(٧٠) م . ن ، ص٤٠٨

(٧١) م . ن ، ٤٥٨

(٧٢) الجمهرة ، ص٤٨٨

(٧٣) م . ن ، ص٤٧٩

(٧٤) م . ن ، ص٤٨٠

(٧٥) م . ن ، ص٥٠٩

(٧٦) م . ن ، ص٥١٧

(٧٧) ينظر: تحليل الخطاب الروائي ، ص٦٤

(٧٨) ينظر: م . ن ، ص٦٤

(٧٩) ينظر: بناء الرواية ، ص٩٦

(٨٠) ينظر: م . ن ، ص٥٠

(٨١) بناء الشخصية

(٨٢) ينظر: بناء الشخصية ، ص٢٠

(٨٣) الجمهرة : ص٣٨٩

(٨٤) الجمهرة ، ص٤٩٤

(٨٥) الجمهرة : ص٣٧٩

(٨٦) الجمهرة ص٤٩٦

(٨٧) المكان نفسه

(٨٨) يُنظر بنية الشكل الروائي ، حسن بحراوي ، ص٢٦ .

(٨٩) بناء الرواية العربية السورية(١٩٨٠-١٩٩٠) سمر روحي الفيصل ، ص٢٥١ .

(٩٠) المكان في رواية زينب (بحث) حسني محمود ص٤٧ .

(٩١) بينة الشكل الروائي ، حسن بحراوي ص٣٣ .

(٩٢) يُنظر المعاني الثانية في الأسلوب القرآني ، د. فتحي أحمد عامر ص٢٣٣ .

(٩٣) نهج البلاغة ، شرح الشيخ محمد عبده ص٤٤٨ .

(٩٤) م.ن ، ٤٤٨ .

(٩٥) سورة الحج ، الآية ٢٥ .

(٩٦) نهج البلاغة ، ٤٩١ .

(٩٧) م.ن ٣٩١-٣٩٢ .

(٩٨) م.ن ٣٩٦-٣٩٧ .

(٩٩) الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، عبدالقادر الرباعي ص٢١٠ .

(١٠٠) نهج البلاغة ، ٤٠٣ .

(١٠١) م.ن ، ٤٠٤ .

(١٠٢) م.ن ، ٤٣٧ .

المصـــــــادر والمراجـــــع

۞ أولاً: الكتب:

١. أبحاث في النص الروائي العربي ، د. سامي سويدان ، مؤسسة الأبحاث العربية – بيروت ، ط١، ١٩٩٤م.

٢. بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، د. سيزا قاسم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ، ١٩٨٤م .

٣. بناء الشخصية في الرواية (الرواية العراقية نموذجا)، د. مصطفى ساجد الراوي، مركز عبادي للدراسات والنشر – صنعاء، ط١، ٢٠٠٣م.

٤. البناء الفني في الرواية العربية في العراق ، د. شجاع مسلم العاني ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ، ١٩٩٤م .

٥. بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، د. حميد لحمداني ، المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء ط٣، ٢٠٠٠م .

٦. تحليل الخطاب الروائي (الزمن ، السرد ، التبشير) ، سعيد يقطين ، المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء ، ط٣ ، ١٩٩٧م .

٧. تقنيات السرد الروائي ، يمنى العيد ، دار الفارابي – بيروت ، ط١ ، ١٩٩٠م .

٨. جمهرة رسائل العرب ، احمد زكي صفوت ، المكتبة العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١

www.dora+ – ghawas.com

٩. خطاب الحكاية ، جيرار جنيت ، ترجمة محمد معتصم وآخرون ، المجلس الاعلى للثقافة – القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٧م .

١٠. دراسات في القضية العربية الحديثة (اصولها ، اتجاهاتها ، اعلامها) ، د. محمد سلام زغلول، شركة الإسكندرية للطباعة والنشر – الإسكندرية ، ١٩٧٣م .

١١. الراوي ، الموقع والشكل ، بحث في السرد الروائي ، يمنى العيد ، مؤسسة الأبحاث العربية – بيروت ، ١٩٨٦م

١٢. السردية العربية – بحث في البنية السردية للموروث الحكاية العربي ، د. عبد الله ابراهيم ، المركز الثقافي العربي – بيروت ، ط١ ، ١٩٩٢م .

١٣. الشخصية في قصص الامثال العربية – دراسة في الأنساق الثقافية للشخصية العربية ، د. ناصر الحجيلان ، النادي الادبي – الرياض ، ط١ ، ٢٠٠٩م .

١٤. الشعرية ، تودوروف ، ترجمة شكري المبخوت وآخرون ، دار توبقال للنشر – المغرب ، ط١ ، ١٩٨٧ – الصوت الاخر – الجوهر الحواري للخطاب الادبي ، فاضل ثامر ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ، ط١ ، ١٩٩٢م .

١٥.ضحك كالبكاء ، ادريس الناقوري ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ، ١٩٨٦ .

١٦.الفن القصصي في القرآن الكريم ، محمد احمد خلف الله ، سينا للنشر ، مؤسسة الانتشار العربي ، ط٤ ، ١٩٩٩م .

١٧.في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد ، د. عبدالملك مرتاض ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداء ، الكويت – سلسلة عالم المعرفة(٢٤٠) ، ١٩٩٨م .

١٨.مدخل الى نظرية القصة – تحليلا وتطبيقا ، سمير المرزوقي وجميل شاكر ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ، معجم المصطلحات الادبية ، د.سعيد علوش ، دار الكتاب اللبناني – بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥م .

١٩.الملحمية في الرواية العربية المعاصرة ، د.سعد عبد الحسن ألعتابي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٦م .

٢٠.نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده ، مؤسسة التاريخ العربي – بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٧م .

٢١. بنية الشكل الروائي ، حسن بحراوي ، ط١ ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ١٩٩٠ .

٢٢. بناء الرواية العربية السورية من {١٩٨٠-١٩٩٠}، سمر روحي الفيصل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٥.

٢٣.الصورة الفنية في شعر أبي تمام، عبد القادر الرباعي، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ط٢، ١٩٩٩.

۞ ثانيا : الرسائل والاطاريح:

١) البنى السردية في آداب كاظم الحجاج ، أثير حميد محمد المجرن ، جامعة البصرة – كلية التربية ، رسالة ماجستير ، ٢٠٠٢م .

٢) البنى السردية في شعر أوس بن حجر وشعر رواته الجاهليين ، عواد كاظم لفته الغزي ، الجامعة المستنصرية كلية التربية ، ألمروضه دكتوراه ، ٢٠٠٨م .

٣) البنى السردية في شعر سعدي يوسف ، علي داخل فرج الخزعلي ، الجامعة المستنصرية – كلية الآداب ، رسالة ماجستير ، ٢٠٠٥م .

٤) البنى السردية في شعر عبد الوهاب البياتي ، عقيل رحيم كريم ، الجامعة المستنصرية – كلية التربية ، رسالة ماجستير ، ٢٠٠٨م .

٥) البنى السردية في شعر الصعاليك ، ضياء غني لفته العبودي ، جامعة البصرة – كلية التربية ، اطروحة دكتوراه ، ٢٠٠٥م .

٦) البنى السردية في شعر نزار قباني ، انتصار جواد عيدان ، جامعة بغداد – كلية التربية للبنات ، رسالة ماجستير ٢٠٠٢م .

٧) بنية السيرة الذاتية في السرد العراقي الحديث ، آيات صاحب أسماعيل ، الجامعة المستنصرية – كلية للتربية ، رسالة ماجستير ، ٢٠٠٨م .

٨) البنية القصصية في الشعر الأموي ، محمد سعيد حسين مرعي الجبوري ، جامعة بغداد – كلية التربية ، أطروحة دكتوراه ، ١٩٨٦م .

٩) البنية القصصية في الشعر المهجري ، حامد علي غيلان ،جامعة بغداد – كلية الآداب ، أطروحة دكتوراه ، ٢٠٠٠م .

١٠) السردية في النقد الروائي العراقي (١٩٨٥-١٩٩٦)م، احمد رشيد وهاب الدرة، جامعة بغداد- كلية التربية للبنات، رسالة ماجستير، ١٩٩٧.

١١) شخصيات قصة يوسف في القرآن الكريم ، نبهان حسون عبد الله احمد السعدون ، جامعة الموصل – كلية الآداب ، أطروحة دكتوراه ، ١٩٨٢م .

البحوث والدوريات

١- المكان في رواية زينب – الواقع والدلالات – حسني محمود، مجلة الموقف الأدبي، منشورات اتحاد الكتاب العرب .